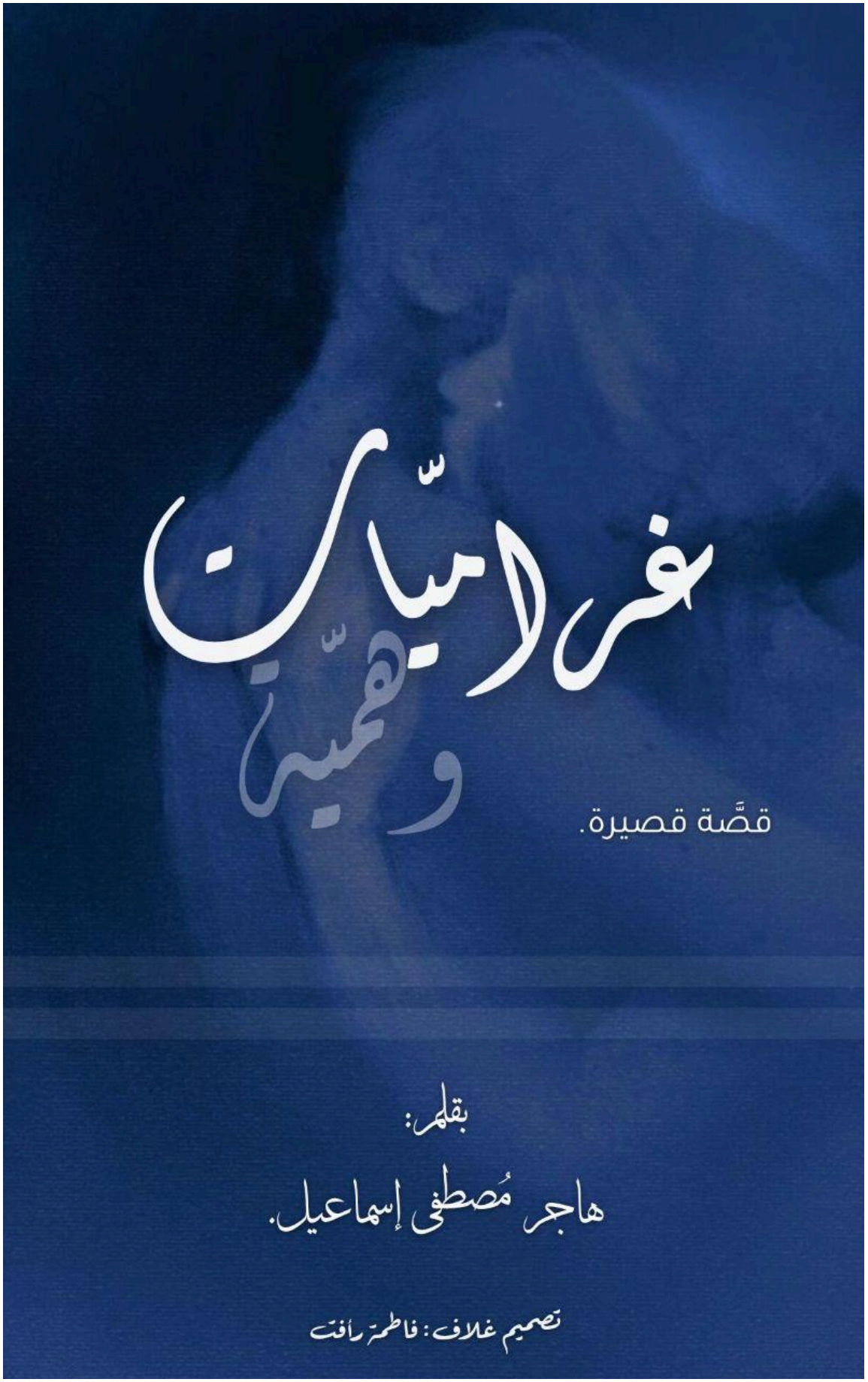
غراميّات وهميّة
قصّة قصيرة.
بقلم:
هاجر مُصطفى إسماعيل.
تصميم غلاف: فاطمة رأفت

للتواصل مع الكاتبة:

Facebook

Telegram

تصميم الغلاف: فاطمة رأفت.

Facebook

تدقيق لغوي: مُنى عبد الله.

Facebook

تاريخ النشر:

13-3-1446هـ/16-9-2024م

حقوق النشر محفوظة للكاتبة.

بسم الله الرحمن الرحيم.

قصة قصيرة بعنوان: **غراميات وهمية**.

حينما يكون الحب ذنبًا.

بقلم:

- هاجر مصطفى إسماعيل.

إهداء:

إلى الكريمات اللواتي وقعن في وهم الحب، هناك خلف هذا السراب، حب ذو مذاقٍ حلوٍ لأنه تحت ظلال الرحمن، والحب الحق يرتفع بصاحبيه لا ينخفض بهما للخطايا والزلات، ومن تصبر على التوق والشوق تَبصُر بالسكون والأمن، من يجعلكِ تتلفتين خائفةً أن تفتضح سريرتكِ لن يؤوي إليه خوفكِ يومًا بل سيزيدكِ ارتجافًا، فسلي الله من تطمئن مخاوفكِ إلى جواره لا من يكون لها باعثًا.

إلى حبيبة فؤادي: **منى عبد الله**،

إهدي إليكِ أحرفي الوليدة هذه، فلولا أن يسركِ الله ما كانت لتخرج للجموع ولظلت حبيسة الدرج كغيرها ولولا نظرتك الباصرة وآراؤكِ السديدة ما كانت بهذا الرونق، أسأل الله عز وجل أن يجبرني في الإحسان إليكِ وألا يحرمني إياكِ وأن يديم الود بيننا.

إلى الكريمات:

فاطمة زهير، **روان سمير**، **أسماء محمود**، **ميادة عادل**، **أسماء الحسيني**، **رهف محمد**: كنتن دائمًا ضوء الليالي الحالكات، من يضعن فيَّ الثقة ويوقنّ بها، أدام الله علينا صحبة الطيبات أمثالكن في الدنيا والآخرة.

هاجر مصطفى إسماعيل.

تشعر بقبضةٍ خفيةٍ تعتصر قلبها، ودمع العين عصيٌّ عليها، المصاب جللٌ يفوق استيعابها، الحلم الذي عاشته معه والدرب الذي رسمت معالمه برفقته تبدد كالسراب، تمامًا كالوعود التي قطعها والعهود التي أبرمها وفي لحظةٍ نسيها كأن لم تكن. يدور بصرها في سقف الغرفة المعتم، تجول في صدرها العديد من التساؤلات والآهات، يخونها البكاء فتسقط من مقلتيها دمعة ملتاعة، ويخرج من حلقها شهقة مكلومة ويسكنه غصة موجعة.

يدور برأسها ما رأته من بضع ساعات حيث ظهر أخيرًا! بعد أن غاب عنها لأشهر، وانقطعت أخباره، وجف دمعها في انتظاره. تجاهلها وتغافل عنها وصعّر خده لها وطعنها في مقتل قلبها الذي أوهمها آنفًا أنه كان ينبض في صدره هو.

عاد ولكنه واحدٌ غير الذي أحبته ووطنت عنده قلبها، عاد في أبهى حلة متشابك الأيدي مع أخرى في ثوب زفافها الأبيض. عُرسه إذن! اليوم الذي طالما حلمت أن تكون رفيقته فيه، عاشت غيرها الحلم واقعًا وظلت هي أسيرة أحلامها وأوهامها معه، كيف؟ ألم يحبها كما كان يدعي؟ ألم يعدها أنها مالكة قلبه

وحِبُه وغاية مناه في هذه الدنيا؟ أين كل كلامه المعسول الآن وهو يتزوج غيرها؟ أين كل وعوده الواهية وقد بنى على أنقاض قلبها بيتًا يجمعه بأخرى؟ أين حبه المزعوم وإصراره المُستميت على بقائه قربها إن أصبحت امرأةٌ سواها حليلته؟

أفاقت من غمرة أفكارها على نظرات الهيام بينه وبين من تزوجها، من استبدلها بها، وجعل لها الفعل والوصل الحقيقي لا محض هراء القول وزهد الوصال كحاله معها، راحت تتصفح بقية المقاطع في حسابه على «الإنستجرام» المكان الوحيد الذي اكتشفت أنه لم يقطع صلتهما منه، والآن فقط أدركت ووعت وعي اليقين السبب الجلي أمام برودة وتجاهله المتعمَّد ورحيله وغيابه المفاجئ، ذلك الغياب الذي جاء على حين غفلةٍ فألقى بها بين نيران الشوق وأشواك الحيرة والفرضيات.

تتساءل الآن، أكُل هذا كان زيفًا حقًا؟ نبض القلب وفيض الشعور إن زُيّفا، أتكون نظرة العين المُحبة خادعة؟!

هي لم تكن أبدًا تلك الفتاة اللعوب التي تسلم قلبها لأي عابرٍ تجد منه استمالةً وتعريضًا بشيءٍ لها داخله، ولكن هذه المرة وهذا الرجل كانا على خلاف العادة، لقد تسرب إلى داخلها على غير وعيٍ منها، وملك عليها قلبها في حين غفلة. قد أحبته طوعًا

وكرهًا ووجدت فيه شبيهها وقرينها، وأعطته حياة قلبها، وها هي الآن تُعاني موت القلب دونه.

مرت البضعة أسابيع الموالية كلها متشابهة، تستيقظ باكية وتنام باكية، زهدت البشر وقربهم، ذبلت وبهت وجهها الوضاء، ألم قلبها لا يفوقه ألم، وحرقة دمعها تكتوي بها، فكرت أن تحادثه.. ولكن أيجدي الحديث الآن؟ قد سطر نهاية حكايتهما وصدّق عليها، لم يعد للحديث نفعٌ ولا للعتاب فائدة.

علامَ تسأله؟ أتستجديه العودة؟ وكيف السبيل لعودة سبلها مغلقة؟ ما زالت لا تصدق وتتعاطى الوهم وتلتمس له العذر، أي عذرٍ الذي يدفعه للتفريط فيها بهذا الشكل؟ وما الذي جنته من ثقتها به غير تلك الشجون التي أصبحت لها كالسجون؟
هي التي زجت بروحها في أعماق حبٍ كاذب، حبٍ توهمته حتى آمنت به، وحينما أَمِنت له نال منها.

تتوسل النسيان أن يدركها، ولكن ما من قبلٍ لها به ولا طاقة! فالذكريات الخانقة تضيق عليها البراح، ومضات الماضي تستميل قلبها الكسير، وتلك الوعود التي ظلت تمني نفسها بها دهرًا تبخرت وما عادت.

تضرب على قلبها بيمناها، ترجوه أن يسكن، فاضطرابه يهلكها وشتات نبضه يؤرقها، أيعقل أن يكون الخلاص؟ الموت خلاصها الأبدي من هذا الألم؟!

رنين الجرس يتعالى، يصلها صوت أمها تجيب الطارق، ثم تسمع طرقاتٍ متهاديةٍ على باب غرفتها يعقبها صوت والدتها تخبرها بمجيء صديقتها «سارة» همت بتصنع النوم ولكنها آثرت ألا تجعل صديقتها ترحل، فهي بحاجة من تبثه وجعها على أي حال، قالت لأمها: حسنًا يا أمي، دعيها تدخل.
والدتها لـ«سارة»: ادخلي إليها يا ابنتي، لا أعلم ما دهاها، منذ عدة أسابيع وهي مريضةٌ وترفض الخروج ولا تقابل أحدًا، بل بالكاد تأكل ما يسد رمقها.

دخلت صديقتها إليها، والتي أرقها غيابها عن محاضراتها وعدم ردها على اتصالاتها ورسائلها أو خروجها كما السابق؛ فآثرت أن تزورها في بيتها لتعلم ما بها بعدما باءت كل محاولات تواصلها معها بالفشل.
سارة: ما بها حياء الجميلة هكذا ذابلة؟ ماذا أصابكِ يا فتاة؟ أين مرحكِ المعتاد؟ ولمَ لا تردين عليّ؟ لقد انتابني حيالكِ خوفٌ مبهم.. فآثرت أن أجيئك، لم أكن أعلم أنني سأجدكِ على هذه الحال.

حالها الآن كمن حالت الأحرف في قاموسه لغصٍ متراكمةٍ بعضها فوق بعض حتى تزاحمت في التراجع لا الخروج، فتخنقها متحولةً لدموع. لم تستطع تمالك نفسها وبدأت في البكاء، لا تدري بم تجيب.. أتخبرها عن خيبة أملها في موطن ثقتها، أم تخبرها عن الخذلان الذي نال منها، أم عن حبها الذي حال لزيفٍ وأملها الذي آل لألم؟

تنهدت «حياء» وبدأت في سرد كل شيءٍ من البداية بلا توقف لرغبتها بإزاحة ذلك الثقل عن صدرها وحسب. بدأ الأمر حين تعرفت عليه في أحد الأنشطة التطوعية بالجامعة، كان يكبرها بعامين، اتسم التعامل في بداية الأمر بضوابط التعامل الرسمية -كما يسمونها- والتي أقرت بعد ما حدث أنها مع كثرة الخِلطة تتلاشى وتحل الألفة محل الكلفة، كانا يتواصلان من خلال أحد برامج التواصل في حيز المطلوب منهما، ثم تعدى الأمر ذلك لصداقةٍ مزعومة، تحكي له يومها وآمالها وهو بالمثل، ثم تطورت العلاقة على مر الأيام حتى اعترف لها أنها قد شغفته حبًا، فتاةٌ مختلفةٌ هي وحدها على مقاس قلبه، يطمئن إليها، ويأمل أن تطوى الحواجز بينهما ليطل على جمال معالم الدنيا من نافذة عينيها. تمنعت في البداية وأغلقت سبل التواصل لفترة، حتى رأته في إحدى التجمعات مرةً أخرى، وأصر على

الحديث معها وتكرار طلبه.. قد كان للوعود رونقٌ حينها، أصابها عزمه على وصالها بسكرةٍ لحظية جعلتها أسيرة ما اختصها به دون غيرها من شعورٍ متأجج، وكان قد تحرك فيها ساكنٌ له قبلًا.. فرضخت لتوسلاته وصدقت وعوده وعهوده. توطد بينهما الوصال على مر عامين متتابعين، انعقد فيهما قلبان على حبٍ واهنٍ ظناه ينسج خيوطًا متينةً في غير حِل الله.
حتى تغير حاله فجأة! لم يعد يحدثها كالسابق، ولم يعد يستمع إليها بحفاوةٍ وإنصات، ولم تعد تلك المختلفة في عينه، وبدأت بوادر التجاهل والبِعاد، وذلك الحب الفائض أصيب بالجفاء، ثم انقطعت أخباره تمامًا، واختفى من حياتها فجأة، لم يبرر أو يوضح أو يعتذر، انقطع عن النشر على حسابه الذي كانت تتابعه بعينٍ يقظة، حتى رأت ما رأته وبرهن لها أنه لم يكن محبًا بل لاهيًا مُدعيًا، متصنعًا ما لا يشعر، مستجديًا ما لا يستحق، فلو صدق في شعوره لصدق في وصاله وطرق باب بيتها أولًا لا باب قلبها، وسُبل القلوب إن سُلكت قبل سبل البيوت كانت فِخاخًا تحمل وجعًا دفينًا لا يُرى إلا بزوال غشاوة حب تعاطته جرعاتٍ كاملة، هكذا حدثت صديقتها مُسترجعة والدمع يتساقط من عينيها وحر الذنب يلفح فؤادها.

كانت «سارة» تنصت إليها بقلبٍ يتحرق عليها، وقد كانت على درايةٍ ببعض هذه الحكايا، وكثيرًا ما حذرتها من عواقب تماديها

في علاقةٍ بلا ملامح، ولكنها كانت تأبى إلا تعاطي الوهم، أنصتت لها لعلمها أنها فقط تود التخفف، وما أن انتهت حتى احتضنتها وربتت على ظهرها بحنو.

في الفترة التالية حاولت صديقتها إخراجها من الوحشة التي أجادت ارتداءها، فبدأت تزورها يوميًا وتصحبها للجامعة ونادي القراءة والتنزه، ومؤخرًا أقنعتها بحضور حلقات العلم التي تلقيها معلمتها في المسجد القريب، هذه الحلقات التي وجدت فيها «حياء» سكينتها وسكونها. كانت تغمرها الأجواء بالطمأنينة، كلام الله وحديث رسول الله ﷺ وحب الحاضرات وحرصهن على بعضهن كأنهن أخوات دمٍ، كل ذلك بدد فيها تلك الوحشة التي استوطنت قلبها مؤخرًا.
مر عليها ستة أشهر أخرى قضتها بين البيت والجامعة ومجالس الصفاء تلك، استعادت في تلك الفترة جزءً من ثبات نفسها، ولكن ظلت ثمة غصةٌ تستوطن صدرها إثر ما لحقها، حدثتهن المعلمة عن كثيرٍ من الفضائل: عن الغائية والعبودية، عن أهمية طلب العلم ورفع الجهل، عن الأمومة والأنوثة، عن لباس المؤمنة وشروطه، عن أمهات المؤمنين وخط سيرهن، عن الجنة ونعيمها وعن النار وسعيرها، عن الذنب والتوبة، عن الصحبة الصالحة ونفعها وصحبة السوء ومغبتها، عن البر ومآلاته، وعن الشبهات وعِتيّها، والمرأة وثغرها.. حدثتهن عن الكثير والكثير

الذي رأت «حياء» في نفسها جهلًا بكثيرٍ من مسلّماته، والذي حمدت ربها أن بصرها به وأحسن إليها إذ علمها بعد جهلٍ وأيقظها بعد غفلة.

كان آخر المجالس التي حضرتها تحت عنوان: «غراميات وهمية» وقد وجدت فيه «حياء» ضالتها ودواءً لدائها. افتتحت المعلمة المجلس بتحية الإسلام وسؤالهن عن أحوالهن ثم الحمد والثناء على الله ﷻ بأسمائه وصفاته والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ومضت في محاضرتها تقول:

إن آفة العلاقات غير الشرعية قد انتشرت بين الشباب في أيامنا هذه بصورةٍ مبالغٍ فيها، يتبادلون الغراميات الوهمية ويقضون شهوةً في غير حِلها، تشتهي النفس أن تأنس ويؤنس بها، وإن كان الأنس في غير حِل الله حال لوحشة، إن الشارع عز وجل جعل التواصل بين الرجال والنساء لضرورةٍ ملحةٍ وحاجةٍ معتبرة، في غير خضوعٍ بالقول أو تباسطٍ في الفعل وألفةٍ في الأمر، وقال الله تعالى ناهيًا عباده عن المخادنة المحرمة: {وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ} مخاطبًا المرأة، {وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ} مُخاطبًا الرجل. والخدن هنا هو: الصاحب والصديق، فلا يحل أن تكون أي علاقةٍ بين امرأةٍ ورجلٍ أجنبيٍ عنها أو العكس تحت أي مسمى.

وقال ﷺ: (شر صفوف الرجال آخرها وشر صفوف النساء أولها) وذلك في أطهر بقاع الأرض ألا وهي بيوت الله، لِتَحقُق الفتنة

من ذلك القرب بينهما، فكيف بالأحوال الأخرى والأناس الأخر؟
وخير أناس الأرض من مضى فيهم قوله ﷺ!
وكثرة الخلطة يا كريمات ترفع الكلفة، ورفع الكلفة يحدث الألفة وحدوث الألفة يزيل الحواجز وإزالة الحواجز تؤول لخضوعٍ بالقول وهو أول درجات الفتنة، والكلفة بين الأجانب خير وقايةٍ من الغواية.
والله سبحانه يقول: {فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفًا}.
ولما كانت النظرة تورث حسرةً أمرنا الله بغض أبصارنا، ولما كان قلب المرأة في أذنها كان كف سمعها عن معسول الحديث في غير حِلٍ واجبًا عليها وأحفظ لنفسها؛ لأن قلوبنا نحن النساء سريعة الميلان. والتعلق في غير أهله مهلكةٌ وقصد الوصل في غير أهله انقطاع.

المرأة في ديننا يا كريمات محفوظةٌ مُصانة، يُسعى إليها وتقطع السبل العَاثرة في سبيل نيل وصالها، أما السبل غير المشروعة والارتباط الزائف ليس من الحب الحق في شيء، فصادق المحبة واضح السعي، عالمٌ للمقصد الشريف سالكٌ للدرب الذي لا عِثار فيه، عِثار الذنب وسوء العاقبة قبل عِثار الموانع ومنغصات الدنيا. ولا أعلم محبًا صادقًا يقبل فيمن أحب الإثم والزلل؛ وإلا فهو مدعٍ ومتلاعب. وما علمناه عمن سبقونا

بالصدق الذي وقر أفئدتهم، أن المحب يكتوي بنيران الشوق أهون من أن يدفع من يحبه إلى الذنب؛ ويخاف الله فيه كما يخافه في نفسه. والصادق حقًا يلتمس خطوات الرشاد ويصطبر على البُعد وغلبة الواقع؛ فإن للبيوت أبوابًا معروفة، وللقلوب منافذ مشهودة، ولا يعبرها إلا من صدق سبيل الوصل الذي يرضي الله سبحانه. أما ما دون ذلك فإني أعيذكن بالله أن تقعن ضحية كَلمٍ معسولٍ كاذب.

وإن لمن تمام المحبة أن يصون المرء قلب مقصوده حتى ينعقدان في حِل الله، والهوى إن كان في غير كنف الله عُذب به صاحبه واكتوى، ومعظم العلاقات المحرمة يضربها الفتور والجفاء إن عاجلًا أم آجلًا، فلا يبقى لصاحبها سوى لسعة الذنب وعض الأنامل ندمًا، فمن أحب حقًا تعفف ودعى ونشد في حِل الله الوصال، والبيوت معروفةٌ أبوابها والرجال أفهم بفعل الرجال.

تظل المسكينة من هؤلاء تمني نفسها بسرابٍ حتى تأتي وقت الفجيعة وتقول: وعدني! إن العلاقات غير الشرعية أجمع لم نعلم فيها بوعودٍ توفى ولا ديونٍ تسد، فكلا الطرفين جناة، ليس هنا محل جانٍ ومجنٍ عليه، الطرفان خائنين للأمانة أمانة الله ورسوله ﷺ قبل أي أمانةٍ أخرى. فمن ابتليت بهكذا شرٍ فعليها ألا

تنتظر أن تمس الوجيعة قلبها في نهايةٍ محتومة، ولتقطع السبل وتتوب إلى الله مقرةً بذنبها مستغفرةً عنه.

كانت الكلمات تنزل على قلب «حياء» كما السِياط، شعرت الآن بفداحة ما اقترفته في حق ربها ونفسها، تخبطت المشاعر داخلها بين إقرارٍ بالذنب وحبٍ يقظٍ لا زال يسكنها وجرحٍ حديث عهدٍ ينزف في عمق روحها، وما إن انتهى المجلس وانفض الجمع، قامت وسلمت على المعلمة واحتضنتها وأخبرتها أنها تشعر كأنها ولدت اليوم، كأن روحها قد غسلت وغشاوة عينيها قد زالت، ثم سألتها نصيحةً أخيرةً تستنير بها في طريقها، فردت المعلمة باسمة: لا تُفلتي قلبكِ في غير موضعه لئلا يُتْلف واتقي الله فيه يا «حياءة». أومأت لها مستجيبةً دامعةً وحيتها بالسلام مودعة، خارجةً من ذلك الجمع الطيب شخصًا آخر غير الذي دخل.

عادت إلى بيتها بقلبٍ غير القلب، وعزمت على سدّ تلك الفجوة داخلها مهما كلفها الأمر، راحت تضمد ندوب قلبها وتسد ثقوب روحها بخلوةٍ مع الله عز وجل، تبثه فيها عجز أمرها وقلة حيلتها، تقر بذنبها بدمعةٍ وبسمة، دمعة توبةٍ وبسمة عودة، تحمد الله أن كفل لها سبيل التوبة، ودلها على من يأخذ بيدها، دعت كثيرًا ألا تكتوي بلوعة الحب في غير حِله وحرقة الذنب، وأن يحفظ الله

عليها قلبها فيكون نبضه في رحاب رضاه، محققًا العبودية له خالصة، خالعًا عنه رداء الحزن الذي ارتداه، مستبدلًا إياه برداء الحب الإلهي، يتردد الآن داخلها: إني أمة الله ولن يضيعني، سيقيني شر نفسي وسوء أمري، محسنًا مردي وعاقبتي، مقومًا خُطاي ماحيًا خطاياي، وبعدما دلني على خُطى الصالحات لن أبرحها، سيكون لي في رشاد أمهات المؤمنين أسوة.

اللهم كما أنعمت على «حياء» بالتوبة واليقظة، أتمم عليها نعمتك بالقبول واجعلها من أهل جنات النعيم، واحفظ عليها قلبها، وإن كان لها في الحب نصيبٌ فارزقها إياه حلالًا طيبًا يرضيك، آمين.

تمت.